The Impact of Bi-/Plurilingualism on Learning

Dr. Noura SAHAL[1]

Faculty of Education Sciences,
Mohammed V University, Rabat, Morocco

Science Step Journal / SSJ

2024/Volume 2 - Issue 6

doi: https://doi.org/10.6084/m9.figshare.27569421

To cite this article: Sahal, N. (2024). The Impact of Bi-/Plurilingualism on Learning. Science Step Journal II (6), 328-335. ISSN: 3009-500X.

Abstract

We aim to demonstrate the impacts of bi/plurilingualism (independent variable) on learning (dependent variable). This paper is based on the premise that the effects of plurilingualism manifest in various forms, depending on multiple cognitive, linguistic, sociolinguistic, and other factors and variables.

In this regard, we present the most prominent approaches to learning in the context of multilingualism, using a descriptive-analytical methodology, including the sociolinguistic approach that links learning to the social status of acquired and learning language, which leads to different types of bilingualism: additive and subtractive bilingualism. We also discuss the cognitive hypotheses proposed by researcher Jim Cummins, specifically the Interdependence Hypothesis and the Threshold Hypothesis. Furthermore, this article highlights the effect of language transfer on learning, which takes two distinct forms: positive transfer and negative transfer, depending on the similarities and differences between prior linguistic habits and the target languages.

Keywords:

Bi/plurilingualism, learning, additive/ subtractive bilingualism, Cummins's hypotheses, language transfer.

[1] PhD in Education Sciences, focusing on the analysis and evaluation of education and training systems, with a specialization in Arabic Language Didactics.
noura_sahal@hotmail.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

إنعكاسات التعدد اللغوي على التعلم

دة. نورة سهال[2]

كلية علوم التربية
جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

ملخص:

نهدف من خلال هذا المقال إلى معالجة إشكالية طبيعة الأثر الذي تحدثه التعددية/الثنائية اللغوية في التعلم؛ إذ نسعى إلى دراسة مظاهر تأثير المتغير المستقل (التعددية اللغوية) في المتغير التابع (التعلم). وننطلق، في دراسة هذه الإشكالية، من فرضية مفادها أن آثار وانعكاسات التعددية اللغوية لا تنحصر في صيغة واحدة ثابتة في كل السياقات، بل تتخذ عدة تجليات مختلفة تتحكم فيها عدة عوامل ومتغيرات معرفية ولغوية وسوسيولسانية وغيرها .

ونعرض في هذا الصدد، باعتماد منهج وصفي تحليلي، أبرز المقاربات حول التعلم في سياق التعدد اللغوي، منها المقاربة السوسيولسانية التي ربطت بين التعلم والوضعية الاجتماعية للغة المُتعلمة، إذ تُصنَّف الثنائية اللغوية إلى نمطين: ثنائية لغوية تراكمية وأخرى تناقصية (لامبير، 1975)، إلى جانب الفرضيات المعرفية التي اقترحها الباحث جيم كومينس(Cummins, J) ، بخصوص الفرضية الترابطية (interdependance hypothesis) وفرضية العتبة اللغوية(threshold hypothesis) ، كما يبرز هذا المقال أثر النقل اللغوي في التعلم، والذي يتخذ صيغتين مختلفتين: نقل إيجابي ونقل سلبي، حسب التماثلات والاختلافات القائمة بين العادات اللغوية المُسبقة وبين اللغات الجديدة المُراد تعلمها.

الكلمات المفتاحية:

التعددية/الثنائية اللغوي، التعلم، الثنائية اللغوية التراكمية والتناقصية، فرضيات كومينس، النقل اللغوي.

[2] حاصلة على شهادة الدكتوراه في علوم التربية، محور: تحليل وتقييم أنظمة التربية والتكوين، تخصص: ديداكتيك اللغة العربية
noura_sahal@hotmail.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تقديم

تشكل التعددية اللغوية ملمحاً بارزا يهمين في معظم المجتمعات، وحتمية تستدعي البحث عن السبل المُلائمة الفعالة في تدبيرها على كافة الأصعدة والمستويات السياسية والاجتماعية والتربوية التعليمية...وغيرها. لقد أضحى التمكن من أنساق لغوية متعددة (وطنية وأجنبية) ضرورة حتمية لمواكبة تطورات العصر الراهن، وأصبح من الضروري تمكين المتعلمين، في السياق التربوي التعليمي، من كفايات متعددة اللغات، مادامت الأحادية اللغوية (monolingualism)، في ظل تعقيدات هذا العصر، غير كفيلة بتحقيق رهانات التنمية. وفي هذا السياق، ينبغي الإلمام بانعكاسات وآثار التعدد اللغوي على التعلم،والدراية بمختلف ما ينجم عنه من مزايا وإيجابيات، والوعي بما قد يترتب عنه من سلبيات، حسب مدى ملاءمة صيغ تدبير هذه التعددية اللغوية.

1. اختلاف المو اقف حول الآثار الإيجابية والسلبية للتعدد اللغوي

شكلت فترة الستينيات من القرن الماضي مرحلة انتقالية برزخية في مجال البحث في مسألة الثنائية اللغوية، فقبل الستينيات سعت معظم الدراسات إلى إبراز الآثار السلبية للثنائية اللغوية على مختلف الجوانب (Jensen, 1962 ; Arsenian, 1945 ; Darcy, 1953 ; Peal & Lambert, 1962)؛ لكن، بعد الستينيات، اتخذ هذه الدراسات منحى معاكساً ينطلق من إيجابيات ومزايا الثنائية (Cummins, 1976 , 1978 ; Lambert, 1977,1978 ; Landry, 1978).

يعتبر الباحث ليوبولد (Léopold) أول من نبَّه إلى أثر الثنائية اللغوية في النمو المبكر للوعي اللغوي، من خلال دراسة دقيقة تتبع من خلالها مسار النمو اللغوي لابنته (هيلديغار) الثنائية اللغة، الناطقة بالألمانية لغة الأب، والانجليزية لغة الأم. وأكدت الكثير من الدراسات بعده تفوق الأطفال مزدوجي اللغة على أحادي اللغة بحكم من قدرات لغوية وميتالغوية في سن مبكرة (Léopold, W.F 1939- 1949). ذلك أن الجمع بين لغتين مختلفتين عادة ما يضع الطفل أمام مقارنات (Tunmer & Myhill 1948).

2. إختلاف آثار الثنائية اللغوية التراكمية والتناقصية

ميّز الباحث الكندي لامبير بين نوعين من الثنائية اللغوية، إحداهما تراكمية (additive) والأخرى تناقصية (subtractive) (Lambert 1975). وتتخذ الثنائية اللغوية التراكمية طابعاً إيجابياً يتمثل في إتقان المتعلم للغة أخرى ثانية تنضاف إلى لغته الأولى؛ بينما تكتسي الثنائية اللغوية التناقصية طابعاً سلبيا؛ إذ تؤول إلى إحداث تراجع أو تقهقر على مستوى اللغة الأولى. تتحقق الثنائية اللغوية التراكمية في سياق تحظى فيه اللغة الأولى بمكانة اجتماعية أو سيادة سياسية تحول دون تراجع مستوى إتقانها خلال تعلم لغة ثانية؛ في حين تنجم الثنائية اللغوية التناقصية عن تعلم لغة ثانية من طرف ناطقين بلغة مهمشة سياسيا أو اجتماعيا، كلغة الأقليات مثلا، تُصبح عرضة للتراجع والتلاشي أمام هيمنة اللغة الثانية، مما يشكل تهديداً للخصوصية الإثنية والثقافية-اللغوية لتلك الفئة. ، ويقود إلى تراجع اللغة الأم مما يحول دون إتقان جيد للغتين الأولى والثانية، أو ما يسمى بنصف الثنائية اللغوية (semilingualism). (أُنظر (Skutnabb-Kangas & Tookoma, 1976, 1977)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تحقق الثنائية اللغوية التراكمية إذاً غنىً لغويا ثقافيا للمتعلمين من خلال اندماج وتفاعل وتكامل اللغتين الأولى والثانية، بينما تدخلان في صيغة تنافسية، في حالة الثنائية اللغوية التناقصية، تكون فيها الغلبة لصالح اللغة السائدة سياسيا واجتماعيا على حساب اللغة المهمشة، أي أن الثنائية اللغوية التناقصية تقود إلى تراجع في اللغة الأولى خلال تعلم اللغة الثانية، بسبب عدم تكافؤ فرص توظيف اللغتين.

تتجسد مظاهر وتجليات الثنائية اللغوية التناقصية بالمغرب من خلال واقع اكتساب وتعلم الأمازيغية، خاصة في المدن، حيث يصير الناطق بالأمازيغية عُرضة لمواجهة آثار الثنائية اللغوية التناقصية حينما يصبح ثنائي لغة ناطقاً بالأمازيغية والدارجة المغربية؛ فالغلبة تكون لصالح الدارجة التي تطغى على الأمازيغية.

3. فرضيات كومينس حول الانعكاسات المعرفية للتعددية/الثنائية اللغوية

لقد أحدثت تصورات وأفكار الباحث الكندي جيم كومينس (Cummins. J) وقعاً قويا في مسار البحث السيكولساني حول إشكاليات اكتساب وتعلم اللغات في سياق التعددية/الثنائية اللغوية، مما قاد إلى اتخاذه مرجعية في العديد من الدراسات اللاحقة. ومن أشهر مقارباته الذي حققت صدى واسعاً ما أطلق عليه الفرضية الترابطية (interpendance hypothesis) التي تؤكد على اتصال وترابط مختلف اللغات المكتسبة والمُتعلَّمة لانتمائها إلى نفس القناة أو مركز المعالجة الإدراكية، فتعلم اللغات حسب هذا المنظور يتحقق مرة واحدة.

وفي نفس السياق، فقد صاغ كومينس فرضية أخرى متمثلة في فرضية العتبة اللغوية (linguistic threshold hypothesis)، والتي يمكن اعتبارها متفرعية من الفرضية الترابطية، إذ تتضمن تفاصيل جزئية حول مظاهر وآثار هذا الترابط التي تتخذ صبغة إيجابية أو سلبية حسب مدى بلوغ المتعلم للعتبة اللغوية الأساسية.

1.3. الفرضية الترابطية (interdependance hypothesis)

أسس الباحث الكندي جيم كومينس (Cummins. J) الفرضية الترابطية (interdependance hypothesis) التي مفادها أن المستوى أو القدرة اللسانية المحققة في اللغة1 هي نفسها التي ستتحقق في اللغة2، لإنه يتم نقل المعرفة اللسانية من ل 1 بشكل آلي مباشر وتلقائي إلى ل 2.

يستند تصور كومنس إلى مفهوم محوري متمثل في **الكفاءة الضمنية المشتركة** (Common underlying proficiency (CUP) الذي هو مقابل للكفاءة الضمنية المنفصلة (SUP)، ويحيل إلى الالتحام القائم بين اللغتين الأولى والثانية (وغيرهما من الأنساق اللغوية المُكتسبة أو المُتعلَّمة)، وخضوعهما لنفس السيرورة المعرفية (Cummins, J. 1979- 1981)، كما هو مبين في الرسم التوضيحي التالي:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

رسم توضيحي حول الكفاءة الضمنية المشتركة لتعلم لغات متعددة

2.3. فرضية العتبة اللغوية (linguistic threshold hypothesis)

في ظل الجدال القائم حول آثار الثنائية اللغوية، وتوزع المواقف بين من اعتبرها سلبية ومن أكد على آثارها الإيجابية، رغم هيمنة الموقف القائل بإيجابياتها في الآونة الأخيرة، برز موقف الباحث "جيم كومينس" الذي وضع تحديداً دقيقاً ميز فيه بين علاقة الثنائية اللغوية والتطور المعرفي من خلال فرضيته "العتبة اللسانية" (threshold hypothesis) التي أكد فيها بضرورة بلوغ الطفل، المتعلم عموما، لعتبة معينة من الكفاءة الثنائية اللغوية (bilingual proficiency) قصد الاستفادة من الفوائد والمزايا المعرفية الإدراكية للثنائية اللغوية، وتفادي آثارها السلبية.(Cummins, J. 1976, PP 1-43)

يميز كومينس في فرضية العتبة اللغوية بين عتبتين: مرتفعة ومنخفضة لمستوى الكفاءة الثنائية اللغوية. وينبغي على الطفل المتعلم على الأقل بلوغ العتبة المنخفضة من ناحية مستواه في كلتا اللغتين من أجل تفادي مما يمكن أن ينجم عن هذه الثنائية اللغوية من أضرار وآثار سلبية على تطوره المعرفي الإدراكي؛ أما من أجل الاستفادة من فوائد ومزايا الثنائية اللغوية فيجب امتلاك مستوى عال متطور في كلتا اللغتين.

تشرح هذه الفرضية إذا وتفسر الاختلاف والسبب الكامن وراء استفادة البعض من الثنائية اللغوية دون غيرهم؛ ففي حالة عدم بلوغ العتبة الأدنى من ناحية مستواهم في كلتا اللغتين – أو ما يسميه كومينس ب semilinguism- فهم يصبحون عرضة لمجموعة من الآثار السلبية، بينما إذا تم بلوغ هذا الحد الأدنى في العتبة فيعتبر فيها الطفل ثنائي لغوي جزئي partial حيث يكون مستواه ملائما في إحدى اللغتين فقط دون الأخرى، وهذا ما اصطلح عليه بالثنائية اللغوية المهيمنة dominant bilingualism، ولا يترتب عنها أي أثر إيجابي أو سلبي، أما في حالة بلوغ الحد الأعلى من العتبة اللسانية في كلتا اللغتين في صيغة متكافئة متوازنة تتحقق الثنائية اللغوية التراكمية additive bilingualism، وتعود على الطفل بفوائد على مستوى تطوره الإدراكي المعرفي، وهذا ما يبينه بوضوح التخطيط التالي:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

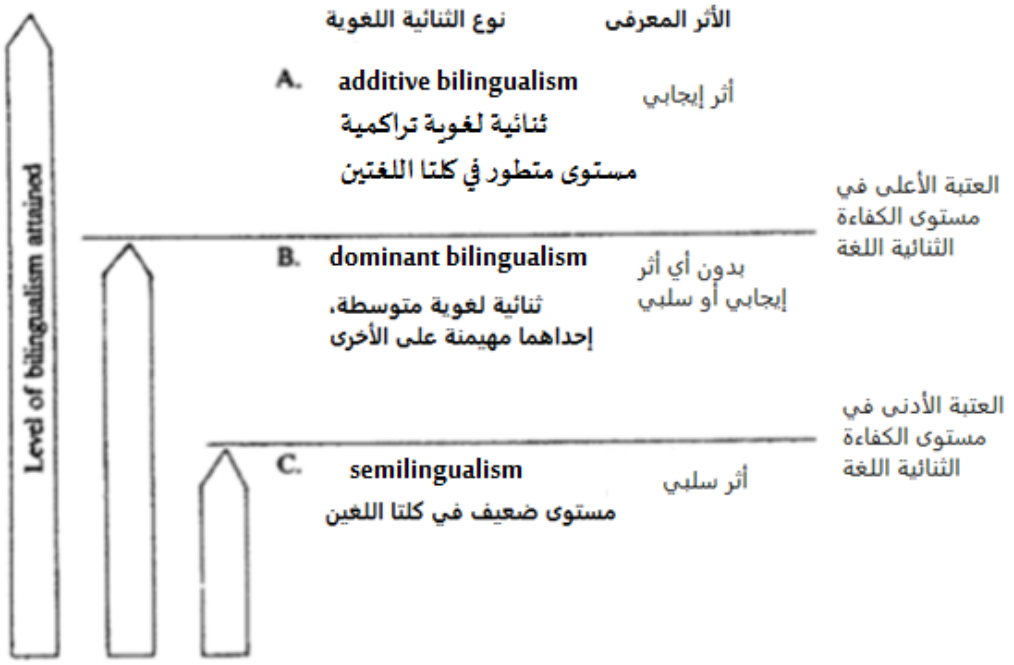

رسم توضيحي حول الآثار المعرفية للثنائية اللغوية (Cummins, J)

4. أثر النقل اللغوي في التعلم

يُشير بالنقل، أو التحويل، اللغوي (language transfer)، إلى نقل العادات والمكتسبات اللغوية السابقة وإسقاطها على نظام لغوي جديد يتم تعلمه، أو كما عرَّفه أودلين (Odlin) – مؤلِّف كتاب النقل اللغوي-بأنه: تأثر ناتج عن التشابهات والاختلافات بين اللغة الهدف وبين أية لغة أخرى تم اكتسابها مسبقاً (Odlin, T. 1989, p 27). وكلما تقلصت الفجوة بين هذه الأنساق اللغوية وتحقق التقارب والتشابه يتم تفعيل النقل الإيجابي الذي يتم من خلالها استثمار هذه التشابهات والاستفادة منها. وفي المقابل، كلما اتسعت هذه الفجوة وكثرت الاختلافات أصبح النقل سلبيا يقود إلى تداخل وأخطاء.

يترتب عن النقل اللغوي أثران مختلفان: فإما أن يكون مساعداً في تيسير تعلم اللغة الثانية، أو يكون معيقاً وسببا في خلق صعوبات وتعثرات أثناء التعلم؛ إذ يتخذ هذا التحويل اللغوي نمطين: النقل الايجابي هو الذي يترتب عنه تيسير في عملية التعلم، عكس النقل السلبي الذي يضع المتعلم أمام صعوبات. وعادة ما يُحتفظ بالمصطلح 'نقل' مرادفاً للنقل الايجابي، في حين أن النقل السلبي هو نفسه ما يُعرف بالتداخل اللغوي (Linguistic Interference).

يتحقق النقل الإيجابي في حالة التقارب والتشابه بين ل 1 ول 2 المراد تعلمها، بمعنى تقلص الفجوة اللغوية، ويتخذ هذا التشابه والتجاور عدة تجليات، كالانتماء إلى نفس الفصيلة اللغوية كاللغات الرومانية مثلا، المتفرعة عن اللغة اللاتينية: الفرنسية والاسبانية والإيطالية. أما التداخل (النقل السلبي)، فيقترن بالاختلاف والتباين الذي يطرح صعوبات وأخطاء في التعلم، ويُعرَّف التداخل بكونه:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مشاكل في التعلم، إذ ينقل المتعلم بشكل غير ملائم عناصر وسمات من لغة معروفة إلى لغة مستهدفة (Hamers & Blanc, 1983). وتتضاعف احتمالات وقوع المتعلمين في هذا التداخل كلما اتسعت الفجوة والهوة اللغوية.

خاتمة

يتبين أن التعلم في سياق التعدد اللغوي يتخذ مسارات متعددة، ويؤول إلى نتائج متباينة حسب عدة متغيرات سوسيولسانية ومعرفية وغيرهما. فقد يترتب عن تعلم لغة ثانية ثنائية لغوية تراكمية أو تناقصية حسب الوضع السياسي الاجتماعي للغة الأولى. كما تختلف الآثار المعرفية لهذه التعددية/الثنائية اللغوية حسب المستوى الذي تم بلوغه في اللغة الأولى قبل الانتقال إلى تعلم اللغة الثانية، نظرا لخضوع التعلم المتعدد اللغات لنظام معرفي موحد، تنجم عنه علاقات تأثير وتأثر بين مختلف هذه الأنساق اللغوية في إطار ما يُصطلح عليه بالنقل. ويتخذ هذا النقل اللغوي طابعاً إيجابيا أو سلبيا (التداخل) حسب الائتلافات أو الاختلافات القائمة بين هذه اللغات.

وبالتالي، تبرز جليا أهمية المكتسبات اللغوية المُسبقة، خاصة اللغة الأم، في تعلم لغات جديدة، إذ تخضع اللغة الثانية لتأثير من قبل اللغة الأولى. ونخلص في هذا الصدد إلى ضرورة استثمار علاقات التأثير والتأثر القائمة بينها في السياق التعليمي التربوي، قصد الاستفادة من مزايا التعددية اللغوية، في صيغة تحفظ للمتعلمين لغتهم الأولى الأم، عبر تعزيز مكانتها، مع إتقان اللغات الأجنبية التي تفتح أمام آفاق الانخراط الفعال في المجتمع الدولي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

لائحة المصادروالمراجع

- Cummins, J (1976). The influence of bilingualism on cognitive growth: a synthesis of research findings and explanatory hypotheses. Working papers on bilinguism. 9, 1-43.
- Cummins. J (1979). Linguistic interdependence and the educational development of bilingual children. *Review of Educational Research, 49 222-251.*
- Lambert, W.E. (1975). Culture and language as factors in learning and education. In A Wolfgang (Ed.), *Education of immigrant students*. Toronto: The Ontario Institute for Studies in Education.
- Leopold, W.F. (1939). Speech development of a bilingual child. Volume 1. New York: AMS Press.
- Odlin, T. (1989). Language Transfer: Cross-Linguistic Influence in Language Learning. Cambridge University Press, Cambridge.
- Hamers, J. F. & Blanc, M. (1983). Bilingualité et bilinguisme. Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved